

**رسالة الدموع**



الكتاب : رسالة الدموع  
المؤلف : بدّي ابنو المرابطي  
الطبعة الأولى : 2020  
عدد الصفحات : 98  
القياس : 13 X 19  
الإيداع القانوني : 2019MO4413  
الترقيم الدولي : 0-81-705-9954-978  
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

### توزيع:

المركز الثقافي للكتاب  
الدار البيضاء / المغرب  
6، زنقة التيكر  
هاتف : +212522810406  
فاكس : +212522810407  
markazkitab@gmail.com  
بيروت / لبنان  
الحمراء - شارع المقدسي - بناء بليسي  
هاتف : +9611747422  
فاكس : +9611744733



سلسلة آفاق أخرى

بديّ ابنو المرابطي

# رسالة الدموع

الهجائية

الصلاة الوسطى من صلوات المنفى الباريسي في أهاتي  
الإنسية والجنية لألوان البرّ والبحر





دموع أولى









صديقةٌ...

إني لقيتُ اللياليَ في هذه الأرضِ

ترقصُ حولكِ.

قلتُ: صديقةٌ كيف نساقرُ في هذه الأرضِ،

إن المسافرَ في هذه الأرضِ

يرقدُ في الكهفِ، يرقدُ فيه

سنيناً؟

وقلتُ: صديقةٌ كيف أحبكِ بين تلالِ

من الصمتِ، لا يكتبُ الليلُ

فيها المحبُّ عن الحبِّ إلا جنوناً؟

لقيتُ النجومَ الشجيةَ

ترقصُ في البحرِ،

عانقتُها؛

قلتُ: يا بحرُ إنَّا سنبقى أمامك،

رغمَ العواصفِ والقهرِ،

نولدُ قبلَ طلوعِ الثريا،

ونغتسلُ الفجرَ في شفقِ ضلٍّ،

نمشي شمالاً ونمشي يميناً.

ونحملُ كلَّ البشاعةِ نحوَ البحارِ البعيدةِ.

فيها نعانقُ خلفَ البشاعةِ نجمَ الثريا،

وشيئاً من الحبِّ ظلَّ حصيناً.

وندخلُ في غابةِ فردةٍ  
نشتهيها قديماً،  
وفي غابةِ تشتهينا.

سنبقى أمامك يا بحرُ،  
رغمَ النياشينِ والدمِ،  
نبقى أمامك،  
نشرّبُ شمساً ستطلعُ؛  
نبقى أمامك،

نمشي الهوينا.  
ونحملُ قيثارةً لم تُك بعدُ؛  
نرقصُ مثل النجومِ الشجيةِ رقصاً مبيناً.



ج





صديقةٌ...

يَكْبُرُ فِي ذَاتِكَ الْوَقْتُ.

أُبْصِرُ فِيهِ مِنَ الْعَشْقِ حَقًّا.

وَأُبْصِرُ فِيهِ مِنَ الْبَحْرِ سَيْلًا عَرِينًا.

وَتَسْأَلُنِي عَنْكَ أَوْجُهُ غَيْمٍ،

تَنَاطَرَ بَيْنَ سَجُونٍ مِنَ الظِّلِّ،

أَسْأَلُ فِيهَا عَنِ الْحَبِّ،

أَسْأَلُ عَنْهُ سَنِينًا.

وغيِمِ تنائِثَ في هذه الأَرْضِ،  
حيث أَقبِلُ وجهاً حزيناً.

تعالِي لِنَرَقِصَ في هذه الأَرْضِ، قلتُ.  
فقالَت: أنَرَقِصُ في هذه الأَرْضِ،

إنَّ المسافِرَ في هذه الأَرْضِ يرقُدُ  
في الكهفِ؛  
يرقدُ فيه قروناً.

تُحدِّثُنِي عن "ولاتة"،  
تكتبُ دمعاً "ودان"،  
أيتعدُّ الحُبُّ عِنا،

كأن مواعيده أبداً لن

تحيناً؟

هل الطلحُ مازالَ طلحاً؟

وعذريّةُ النَبقِ كيف ستصمد حيناً؟

هل التمرُ والفلوُ سوف يضيعان في النهرِ هدرًا؟

وهل شبُّ الذكرياتِ الفريةِ يعرف ديناً؟



τ



صديقةٌ...

إن الليالي قد أبصرتني ولم تعرف الوجهَ.

قالت: ستبقى بعيداً بـرجكَ.

قلتُ: من الملحِ هو.

هنا فيه أعلن حبي الدفينا.

وأبصرُ ذاتُ العماذِ هنالكَ.

ذاتُ العماذِ هنالكَ تكبرُ في الملحِ أيضاً،

وأيضاً هنا أو هنالك لن أبق إلا أئيناً.  
هنا أو هنالك تُنتقُ لي "كِدِيَةِ الجلد"،  
أبصرُ في الذكرياتِ الفريةِ طفلاً حزيناً؛  
هنا أو هنالك يُغتصبُ النبُّ جهراً،  
نساءُ المدينةِ يُسبينَ إن كنَّ تبنَ،  
وإن كنَّ برنَ،  
وإن كنَّ حوراً،  
وإن كنَّ عيناً.



هنا أو هنالك أبصرُ كل نساءِ المدينةِ يُسبينَ.

أبصرُ كل المدائنِ؛

أبصرُ فيها "العصابة"،

أبصرُ فيها "العيونا"

هنا أو هنالك أسألُ: كيف أحبكِ؟

أسألُ: كيف سيتحرُّ الحبُّ فينا؟

هنا أو هنالك أعرفُ أنكِ أنتِ الجميلةُ،

أعرفُ أني أقبلُ ثغراً سخيناً.



خ



صديقةٌ...

هي السماءُ كعينيكِ تُمطرُ.

حباتُ ماءِ السماءِ تغازلُ خديكِ،

حباتُ ماءِ السماءِ تُقبِّلُ منكِ الجبينَا.

تزيدُ دموعكِ.

تبكي السماءُ

وتبكين أنتِ،

وأبكي،

ونبكي معا صامتينا.

وحباتُ ماءِ السماءِ تراقصُ خصرِكِ،

تلبسُ كلَّ ثيابِكِ،

تحرِقني غيرَةً وجنوناً.

وحباتُ ماءِ السماءِ تُحطِّمُ برجي.

وتحرِق كلَّ وجودٍ من الملح.

والبحرُ تُغرق فيه السفينا.

فكيف أحبكِ حيث يكونُ السحابُ رياحاً؟

أتيهُ وأنسى !

ألاقي على كلِّ تلٍّ كميناً !

وأنسى زغاريدَ كل النساءِ...

وأنسى أناشيدَ شطِّ المحيطِ...

وأنسى الحصادَ...

وأنسى السنابلَ والنهرَ...

أنسى أناشيدَ ماءِ الحقولِ...

هنا أو هنالك أبقى رذاذاً من الدمع،

أو أستحيلُ على الأرضِ ملحاً طحيناً.









صديقةٌ...

يحلمُ برقٌ تألَّم في الضفتينِ بوجهٍ جديدٍ،  
لأن الرحيلَ تعلَّم سِفْرَ النيازكِ،  
واستنبتَ الأرضَ وجهاً يُراودهُ في الصباحِ  
الأليمِ.

تذكَّرَ أن الغروبَ الصبوحَ محبِّ حريقٍ،  
وهاجرَ في لجةِ الحائرينِ.

ألا عَلمَ البحرُ ما قد نفاهُ.

وهلّ عليه الرحيلُ المخضّبُ بالليلِ،  
والعرقُ الهائمُ المستحيلُ،  
أمامَ المرايا الكريمة،  
والحالماتِ بما كتبَ الوجعُ الراحلُ.  
نصفُ السماءِ المحاربِ للروحِ،  
يخفقُ مثل انتحارِ الغريقِ العديم.

كأن حروفَ الشقاءِ تُقطَعُ نهذاً، على هربٍ،  
قد تكاملٌ في غيهِبِ الخائفينِ.  
ضُحَى ذكُرُ الهجرِ أَنَا وُلدنا.  
ضُحَى سافرَ الفجرُ عَنَّا.  
ضُحَى قد قضمنا الضحى؛  
وضربنا السماءَ على الضفتينِ.



# دموع ثانية





ذ



صديقةٌ...

هذا الرحيلُ...

لهذا الرحيلِ وجوهٌ

تُعلمني الدمعَ،

قبل ولادةِ كلِّ الوجود.

وأهربُ عنها،

حيناً إلى موعدِ البحثِ

عن نخلةٍ ما تزالُ كما هي

عذراءً،

تلمسُ طعمَ الأديمِ

الذي لم تطأه السنينُ

العجاف...

ولكن هذا الرحيل طويلاً  
يطالُ ضروبَ الهزيعِ،  
كليلاً وداحسَ،  
يعزفُ فوقَ جراحي الأليمةِ  
أنشودةَ القهرِ،  
يلبسُ نفسي.

\*\*\*

وفي أودغست أسائلُ عن ألمٍ قد تقمّصني .

أودغستُ تسائلُ عن فعلٍ مبكاي .

مبكاي... إني سكرتُ عليه

كشمسٍ عديمٍ؛

وجُبتهُ تحملُ العشقَ إياه .

ضعتُ على الهائمينِ بمرأى صدى أودغست

كحلْمٍ من الشوقِ خطَّ انتقائي .

وتكتُبني ذكرياتي، كَحُبِّ عَظِيمٍ، على أودغست

وتكتُبني ذكرياتي كَحُبِّ عَظِيمٍ تحجِّم،

قد لفظته السنينُ المُحِبَّةُ

للقادمين.

وفي أودغست سأبصرُ حيناً من الدهرِ

فيه نبشتُ الغروبَ الذي قد شريتُ

مع الأمسِ حُبًّا؛

وأنكرتُ أني رحيقُ ينامُ مع النجمِ

والموتِ؛

أنكرتُ أني أنا النجمُ والصمتُ.

ثم كتبتُ  
هروباً تجملاً  
بالذكرياتِ،  
وطارحتُ نجمي على  
أودغستَ؟  
وطارحتُهُ سرّاً هذا العطشِ.







وقفْتُ على أودغستَ .  
وقفْتُ اغتسلتُ بصمتي .  
وراقصتُ كل النجوم .  
وناديتُ وحدي المكانا .  
وقفْتُ على أودغستَ .  
وسامرتها كل ليلى ،  
إلى أن شطبتُ زماني أناً وأنا .  
شربتُ دموعي .

وقلِّبْتُ عن لحظةٍ لم تكن،  
عن وجودٍ سيعلو على البرقِ إن هو كانا.  
خطابُ العصافيرِ يعلو على البرقِ أيضاً  
إذا البرقُ لَعَلع حتى سقانا.  
سكرتُ بما قد بقيَّ من العطرِ بين التلالِ.  
ورافقتُ كلَّ العصافيرِ.  
فتَّشْتُ عن أملٍ سيغنِّي،  
يُجالسُ هذا المكانا.

\*\*\*

على أفقِ البحرِ،  
والليلِ،  
والزمنِ الطافِحِ بالموتِ،  
أذكرُ أن السجودَ أمامك يغسلُ مائي.  
وأذكرُ أنّي رحلتُ.  
كتبتُ سجودي على البحرِ شوقاً إليك.  
فكان سجودي، كما كنتُ، شيئاً بعيداً  
يغازلُ وجهي،  
ويضربُ وجدي،  
ويُنهي كلامي،  
وفوق سجودي يتمُّ انعدامي.



ذ





صديقةٌ...

في مُطلقِ الفقرِ،

والضنكِ المتلاحقِ

خلفَ الظهورِ المهشَّمِ

في النومِ،

يختلطُ الرعدُ بالهمِّ

حيناً،

ويرتدُّ حُبِّي على البحرِ، يشربُ

نوماً تخمَّرَ في المُتلبَّسِ

في سفري، وفي عدم

هاربٍ عن ظلامي

مع الأمس،

والفقرُ أسكره الحبُّ في خلسةٍ ماطرة.

ضبابُ أسنةِ هذا الحنينِ يصبُّ جراحاً

على الليلِ تضربُ في الفقرِ ضربَ الطلوعِ.

سَنِينُ الضِّيَاعِ الْمَزَاحِمِ لِلجَمْرِ تَرْتَدُّ فِي الْفَقْرِ نَهْيًا،  
وَمَا النَّهْيُ إِلَّا رَحِيلُ السَّمَاءِ الَّتِي أَعْرَسَتْ قَبْلَ جَرْحِي،  
رَحِيلُ السَّمَاءِ عَلَى الْعَتَمَاتِ الْجَلِيَّةِ يَخْرُجُ بَعْدَ الرُّكُونِ  
مَعِينًا مِنَ الْهَمِّ؛

يَلْتَحِفُ الصَّبْحُ، وَالصَّبْحُ فِيهِ قَتِيلٌ،  
وَيَرْفَعُ فِي الطَّرْقِ حُبًّا قَدْ اخْضَرَ فِي حَانَةِ مَيْتَةٍ.

عليه بزوغُ الأصيلِ يطلُ عشياً،  
ويمتهنُ الفقرَ صباحاً.  
يُكلِّمني الفقرُ في جرحِ وادي التلاحمِ.  
يُبصرني الألمُ المستحيلُ بكاءً.  
ويبحرُ بينِ جوانحِ صحوي،  
ليرحلَ فيَّ بهياً كما هو،  
يزدادُ من ذاته كلما زادَ سيرُ الهزيعِ،  
ويزدادُ في ذاته كلما هبَّ وقعُ النجيعِ.

ويصطادني أُمَّةٌ قد تهاوتُ بناءً من الملحِ  
في مطرٍ غادرٍ.

ضحكتُ أممٌ من بنائي.  
وغادرَ نجمك كلَّ سمائي.

فكيف ستُنفي الجراحُ جراحاً إذا ما تنادتُ  
معاً في لقائي؟  
وكيف سأُبرئ مثلَ المسيحِ جراحَ الجموعِ،  
وكيف سأُشربُ ليلاً يعلّمني الليلَ والموتَ  
قبلَ الرجوعِ؟

وكيف سأهربُ عنكَ؟  
وكل الهروبِ هروبٌ إليك؟  
أناشيدُ هذا الغروبِ تدلُّ عليكِ.  
إذا الشجورُ ضلَّتْ  
فأنتِ أمامي  
ووجهُ المفازةِ جلٌّ،  
وماضيَ أيضاً أمامي.

سأَدْخُلُ مَعْبَدَ شَوْقِي إِلَى اللَّيْلِ .  
يَصْفَعُنِي اللَّيْلُ .  
يَسْمَعُ كُلَّ كَلَامِي .

جِرَاحِي تُعَلِّمُنِي اللَّيْلَ ،  
حَيْثُ أَكُونُ وَحِيداً وَإِيَاهُ .  
أُبْصِرُ سِرَّكَ هَلَّا ،  
وَنَشْرَبُ ، وَحْدِي مَعَ اللَّيْلِ ، نَخْبَ هِيَامِي .

ونجواي عادتُ إليّ،  
وما كان حُبِّي سوى ألمٍ  
قد تضافرَ فيَّ.  
وحبي وحبُّك دينٌ عليّ.

فعودي! لأعلنَ ليَّ حنيني إليّ،  
لأظهرَ خلفَ النهايةِ وجهاً يؤمُّ فنائي،  
لأعرفَ أنَّ الحقيقةَ تحملُ في الليلِ بعدَ الرحيلِ  
سمائي.

\*\*\*



ويكتبني الوجهُ،

خلفَ الرحيلِ،

ظهوراً من الشوقِ

يلهتُ خلفَ التمادي

الحليقِ.

طفوحُ أنا بالهوى الهاربِ،

الحزنِ والسجنِ،

والليلِ،

والموجِ، سرِّي الطريحِ،

وحبِّك.

ألهو مع الفجرِ وحدي،

طريحا،

وأرصفةُ العشقِ

جنبَ الطريقِ.

سماءُ العبورِ تُنادي طريقي

هروباً.

وتسأل عن ماءٍ وجهي الذي كان في الماءِ

أنجبَ حباً سيكبرُ في اليأسِ

قبلَ المساءِ،

وتسألُ كيف سأزحفُ نحوَ الزمانِ

السحيقِ.

ظهورُ اللياليِ الحزينةِ يعرفُ أينُ أكون.  
ويعرفُ موجةَ عشقي.  
ويعرفُ كيفُ سأنجو  
مع الليلِ،  
حيثُ أظلُّ أنادي  
انتحاري.

وأسألُ أولَ يومٍ رأيتُ،  
عن الليلِ والماءِ،  
والسَّفَرِ الغاضِبِ،

والحبِّ،

رفضاً.

أطارحُ كلَّ الليالي هروبي.

وأحملُ في الليلِ هذا الهروبَ

إلى أوجهِ المعجزاتِ التي

شربتُ خمرةَ آهةِ نفسي،

وصلتُ صلاتي؛

تهاوتُ عليّ؛

وكانتُ، كما كنتُ، سحراً

يُجلِّي فنائي.

س



صديقةٌ...

في زمنِ الليلِ،

في المنتهى الساكرِ الليلِ في الوقتِ،

أشربُ شمساً تُنادمُ صمتي،

وأشربُ شمساً تُنادمُ نفيي،

وألْبَسُ فيها النعاسَ،

وألْبَسُ نهداً يسامرُ برقاً حبيساً.

أفي الليل أُبصرُ هذا النعاسَ قد احمرَّ؟

يكتُبني عِبرَةً لحنينٍ

ضفائره!

عِبرَةً أفلتَ في

الهزيعِ الغريقِ!

أم الليلُ يعشقُ أن يتبخترَ في الظلماتِ

الحبيسةِ بين الغيومِ؟



أنا الليلُ،

تلك النجومُ الضريرةُ راقصتها

فوق غابةِ برقٍ غبي، تعلّم

كيف يُكبّر في المنتهى،

ثم نادى نفسه.



ش



صديقةٌ...

يَكْبُرُ فِي الْأُمِّ النَّاهِدُ الْمُتَحَدِّثُ بِاسْمِي.

وَأَنْهَارٌ بَعْدَ أَنْهِيَارِي.

أَعَانِي خَثَارَةٌ حَبِي الْمَكْبَرِ فِي سَاحَةِ

النَّفِي.

أَحْمَلُ مَوْتِي. وَأَحْمَلُ فَوْقِي هَشِيمًا مِنَ الْأَمْسِ،

مِثْلَ الْبَعِيدِ الْمَصْلِيِّ عَلَى الرِّيحِ.

أنثر فوق امّحائي نصيباً من الغمراتِ البهية،  
حتى أناديَ يا عالمَ الكُنهِ هلا انتهيتَ،  
وهلا بدأتَ!

هوَ العشقُ يحمُرُّ بينِ خدي في وجعٍ قد ترَبَّعَ  
فيه جمالُ النجومِ التي هربتُ قبلَ قبلي،  
ثم التي هربتُ يومَ امّحائي،  
وتلكَ التي وُلدتُ يومَ لا يومَ.

في مرتعِ القهرِ يرتفعُ الوجعُ الغارقُ في حلّتي .  
وأنشدهُ قطعةً كتبتها الغيومُ على وجنتي ،  
صدى كتبتها على الارتكاسِ الأليمِ .  
ويقطعني الارتكاسُ الأليمُ .  
وباسمي أكون أليماً .





ص



صديقةٌ...

يسترني البحرُ

فوق الصبحِ الأليمِ

وحيداً،

ويصفعني المستحيلُ

وحيداً،

على مرتعِ الحبِّ،

حيثَ الفناءُ يعاني الحضورَ وحيداً،

وحيثُ الفناءُ صقيلٌ

كوجهِ الرياحِ،

وحيداً.

أنا "ها هناك" وحبُّكِ نبقي وحيدين؛

نبقي وحيداً.

وحيداً، فنائي على مرتعِ الحبِّ صرَّحُ

من المعجزاتِ السحيقةِ،

تطفحُ بالليلِ

والهدمِ،

يحمَرُّ فيها الندمُ.

وحيداً وفي أودغستَ سأنظرُ وجهَ  
الهزيعِ المسافرِ خلفَ الغياهِبِ يطفو وحيداً،  
كما أنا مثل الغيابِ.

وحيداً... أهيمُ بخدكِ حين أرى  
أودغستَ تقولُ سأفنى مع الموجِ.

ثم أهيمُ بخدكِ حين أراكِ.  
وأطفو مع الليلِ.  
أطفو وحيداً، ويحبو عليَّ الأُمُ.  
وحيداً، "ولادة" مثلي أحبَّت صفاءكِ،  
ثم استحالتَ فناءً مع الليلِ،  
تهوى الرياحَ وتهوى  
التصابي.

وحيداً، وحبُّك والبرقُ والرعدُ.

ما أشرقتُ آهتي؛

عَرُبْتُ منذ حين.

وطافت بها المعجزاتُ السحيقةُ.

والزمنُ الباطلُ طافَ.

وطافَ بها الشوقُ،

ثم ارتوى.

تركتُ آهتي قصتي،

عزَلتِي علَّتِي.

وأمشي إليك وحيداً.

وحيداً وحبك خلف المدائن،

نُلقي إلى الريح بالعشق سرّاً

كصمتِ الجوى.

وأنثرُ بين العصافير عشقاً غريباً.

على هذه الأرضِ أصبو وحيداً.

وحيداً على هذه الأرضِ.

أزرعُ نفسي

ظلاماً من العشقِ

والحزنِ مثلي،

وحيداً كظلِّ العدمِ.





ض



صديقةٌ...

هو الرحيلُ إلى الأرضِ

ليس سوى زمنٍ ضلَّ في الأرضِ،

ضلَّ ضلالاً.

وهو الرحيلُ عن الأرضِ  
ليس سوى زمنٍ ضلَّ وجهَ  
الطريقِ إلى الأرضِ.

والسحرُ يبحرُ فيه محالاً.

يكونه الأُمُّ العاشقُ الشوقُ؛

يكبرُ في الحبِّ،

يكبرُ فيه ضلالاً.

وينسفه الموتُ حباً،

فيغدو مع الموتِ موتاً.

ويبقى مع الموتِ،

يبقى دلالاً.

ويختارُ وجهي .

ووجهك يبقى مع الحزنِ عذباً زُلالاً .

وتيهك ماضٍ أراهُ أمامي .

وتيهي حضورٌ قديمٌ تسافلُ في الحينِ ،

حينَ تعالى .

\*\*\*

ط





صديقةٌ...

صمتاً أسأئُلُ ظليَّ إن كنتُ يوماً هناكَ.

تخترتِ المعجزاتُ الأليمةُ.

واكتمَلِ الصمتُ،

بينَ الهوى وبينَ اللظى.

تَعْقُمُ الْأَرْضُ،

وَالضَّرْعُ،

وَالزَّرْعُ.

هذا اللظى يتماثلُ في البرِّ والبحرِ جهراً

بما كسبتُ يدنا.



